

هل شهر رمضان للذنب والعصيان؟!

قضاء الوقت:

ليلاً ترى بعضهم صافين أقدامهم، أهي لتلاؤ القرآن؟ كلا إنها لمشاهدة التلفاز للتنقل من قناة إلى قناة، ومن مسلسل إلى مسلسل، حتى ينتهي الليل وهم في عبادة التلفاز يستلهمون تقوى ذاك الفنان أو قيام هذه الفنانة! أو أن ترى لهم في الطريق تنقلات ونظارات في المارة من النساء والرجال يشخصون أطرافهم ويحددون هوياتهم.

أما النهار فهم سعداء بالفراش لا الصلاة الوسطى تناديهم ولا المسجد يعرف لهم طريقاً ، متى ما استيقظوا استيقظوا؛ عند الغروب أو بعده أو قبله، لا يتحسرون جوع أحد ولا عطش فقير.

الأكل والشرب:

فيه ما لذّ وطاب وما لم تنظر إليه عين ويتلذذ به لسان، إنه شهر الطعام والشراب! فيه تعمل أشهر المأكولات و يؤتى أكله كل حين بإذن ربه، فشهر رمضان جنة الطعام، فيه فواكه كثيرة ولحوم مما تشتهي الأنفس (فَإِنَّ زَهْمَهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهُمَا فَمَمَالِئُونَ مِنْهُمَا الْبُطُونَ)، والشراب (فيه شراب مختلف ألوانه).

ما لا تراه في بقية الشهور تراه في شهر التبذير والإسراف!! الذي تمتلىء فيه بطون حاويات النفايات وتکاد تصاب بالتخمة من كثرة ما تمتلىء منه في اليوم الواحد.

التتسку في الأسواق :

في شهر رمضان يزداد التتسع في الأسواق لشراء الملابس الفاخرة والحللي الجملية، فلا الحسينيات -الخاوية على عروشها - لها نصيب منهم، ولا المجالس والمنتديات الثقافية فيها مكان لهم، بل هي الأسواق التي يأمرنا الشيطان بأن نأخذ زينتنا عندها: (إِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُوَ وَرِزْنَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَإِلَّا وَلَدَكُمْ ثَلَلَ غَيْثٌ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ زَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِطُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورُ هـ الحديد: ٢٠

العبادة في شهر العبادة:

ما يقام به في بقية الشهور عند بعضهم لا يقام به في شهر رمضان، فمثلاً:

نوافل المغرب والعشاء عند كثير من أئمة الجماعة ليس لها نصيب في شهر العبادة بل هي في طيات الكتمان والنسيان، بل لا يجرؤ أن يفكر في أن يصل إليها.

وأما صلاة الظهر مثلاً فالأسف كل الأسف؛ ليس بعض الناس هم من لا يحضرون المسجد في وقت الظهيرة، بل حتى بعض أئمة الجماعة إمام الجماعة في الظهر في إجازة والناس منه في راحة.

وأما صلاة الفجر فالصلوة في وقتها، وكراهة النوم حتى طلوع الشمس من أهم مستحبات شهر رمضان عند الشباب، لإكمال شهر النهار، ثم النوم حتى وقت الفطور، فالنائم إذا استيقظ لتناول وجبة الإفطار صلى صلاة الظهرتين مشتركة مع صلاة العشاءين والنائم معذور حتى يستيقظ!

انقلاب المعاشرة :

للأسف أن هذه الصورة هي المنتشرة، والمفترض أن تغير هذه الصورة إلى ما هو المفترض، حيث أنه شهر الدعاء والعبادة وقراءة القرآن وقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم - في آخر جمعة من شهر شعبان - : (أيها الناس! إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام، وللياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات...).

هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب.

فسلوا الله ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه، وتلاوة كتابه فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر ...).

إن شهر رمضان شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله عز وجل، وجدير بالضيف أن يتحلى بآداب الضيافة، ولا تكون الآداب صحيحة إلا إذا جاءت بقدر المضيف ونحن نعلم أي مضيف عظيم حللنا بضيافته.

فلننظر ما هي آداب الضيافة في هذا الشهر الكريم، ماذا يجب علينا أن نعمل فيه لنكون في المستوى اللائق، ولكي نُسجل في قائمة الضيوف الذين أحسنوا الآداب؟

لكي تكون كذلك لابد من معرفة حقيقة هذا الشهر، وما هي المميزات التي يتفرد بها عن سائر الشهور.

ليلة القدر شرف لشهر رمضان:

يكفي قيمة لهذا الشهر الفضيل، أن فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وهي التي يقدر فيها ما سوف يجري على البشرية جماء، إلى الشهر الكريم الذي بعده.

يقول الله عز وجل في القرآن الكريم: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةٌ الْقَدْرُ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ).

مميزات شهر رمضان:

مع أن لشهر رمضان المبارك مميزات كثيرة على سائر الشهور ، إلا أن هنالك أربع مميزات يمكن وضعها في إطار رسالة هذا الشهر الفضيل ، ذلك لأن لهذا الشهر الفضيل رسالة كما أن شخصيته خاصة إذا عرفناها عرفاً واجبنا فيه ، ومسؤوليتنا تجاهه ومنهجنا في لياليه وأيامه، وهي على النحو التالي:

أولاً : السمو الروحي:

فهو يعطي تميزاً للروح على الجسد ، وللقيم على المادة ، ولذلك يجوع الإنسان فيه ويعطش ، بينما روحه تحلّق في آفاق واسعة من الاتصال باهـ ، والتغذية بالمضامين الحضارية لرسالته لأهل الأرض .

ألا ترى ... أن انداداً خاصاً - تجاه إله - يعترىك حينما يهاجم الجوع والعطش معدتك ؟! فكيف إذا كان الجوع والعطش من أجله؟

إنك - حينها - مهياً للذوبان في رسالته .. هذا تميز لا بد من معرفته والتفاعل معه . يقول الإمام علي عليه السلام كما في نهج البلاغة: (ومحاجدة الصيام في الأيام المفروضات ، تسكيناً لأطرافهم وتخسيعاً لأبصارهم وتذليلًا لنفسهم ، وتحفيضاً لقلوبهم ..)

ثانياً: الانعتاق من الدنيا:

فالمسلم على مدار السنة ملاحق من الدنيا ، تلاحمه في بطنه وحاجياته المادية وغيرها ، أما في هذا الشهر الكريم ، فإن الدنيا تركت جانبـاً - هذا التعامل الصحيح معها - ويفسح المجال للآخرة لتأخذ دورها في توجيه الإنسان الوجهة السليمة ، فالعطش والجوع ، والشدة والبلاء فيه ، إنما تذكر بشدة أكبر ، وجوع وعطش أطماً ، إنه عطش وجوع وشدة يوم القيمة الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى إله بقلب سليم ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته - في آخر جمعة من شهر شعبان - (فاذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم القيمة وعطشه).

ثالثاً: تلخيص عام في ليلة:

إذا كان الله سبحانه ، يقدر للإنسان في ليلة القدر ما الذي سيجري عليه في عام كامل ، فجدير بالإنسان أن يجمع كل قواه لهذه الليلة ، ليطلب من الله تعالى ما الذي يريد أن يكون عليه ، من سلامه وعافيه ، وحمل رسالة الله لخلقه ، وتصحح نيته ، وسلامة قلبه وطهارة عمله ، وكسب الحلال فيه .. والانطلاق في الحياة بما يرضي الله في الدنيا والآخرة .

رابعاً : تحسس آلام الآخرين :

لا يريد الإسلام المسلم فرداً ، إنما يريده أمة ، واختلاف الإنسان الفرد عن الإنسان الأمة إنما هو في أن الأول لا يعرف إلا نفسه ، ولا يسعى إلا وراء رزقه وراحته ، بينما الثاني يرى سعادته جزءاً لا يتجرأ من سعادة الآخرين ، ورزقه لا يكون مساغاً إلا إذا أمن رزق الآخرين عن النهب والسرقة من قبل أصحاب القوة والسلطة ، ولذلك لا يستكير دفع نفسه في لهوات الحرب دفاعاً عن نعمة المحروميين، وحرية المستضعفين.

وهذا الشهر الكريم محطة يتحسس المسلم فيها آلام الآخرين ، فهو بجوعه خلال هذا الشهر يتذكر الذين يجوعون في أيام السنة ، من الفقراء والمحروميين الذين يجوعون دائمًا ويعطشون ، فقد سئل الإمام الحسين عليه السلام : لم افترض الله عز وجل على عبده الصوم؟ فقال عليه السلام : (ليجد الغني مس الجوع ، فيعود بالفضل على المسكين) .

كانت تلك أربع مميزات رئيسية لهذا الشهر الفضيل ، وجدير بكل مسلم أن يستوعب عملية الصيام من خلالها ، وأن ينظر للجوع والعطش والامتناع عن اللذات المؤقتة من منظارها ، حتى لا يكون منمن عناهم الحديث الشريف : (كم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب ، وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش) .

برنامـج الفرد :

وهـنا لـابـد من التـطرق إـلى البرـنامج الرـسالـي لـلفرد المـسلم ، وكـيف يـنـبـغي أـن يـكـون فـي شـهـر رـمـضـان ... لـنـرى ما هـي نقاط بـرـنامج الإـنسـان المـسـلم كـفـرـد ، وـالـذـي يـسـتـطـيـع بـه أـن يـتـفـاعـل مع هـذا الشـهـر الـكـرـيم ، وـأن يـحلـق بـه فـي سمـاء الرـحـمة الإـلهـيـة:

أولاًً : قبل كل شيء لابد من برمجة الوقت من جديد، وبرمجة الحياة في هذا الشهر معه من جديد؛ حتى لا يسمح المسلم فيه لأية لحظة من حياته أن تذهب أدراج الفراغ دونما شغل أو عمل. وللأسف إن كثيراً منا، تنصرم أوقاته في مجالس البطالين، وفي الأعمال والكلام غير المهدوف أو غير المسؤول، أو وراء الملهيـات التي أـعـدـها أـعـدـاء الإـسـلام لأـبـنـائـنا ليـنشـغـلـوـا بـهـا عن أـهـدـافـهم المـقدـسـة.

والمثل المعروف يقول: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك) .

ويقول الشاعر الشيخ حسن الدمستاني رحمة الله عليه:

أنفاس عمرك أثمان الجنان فلا تشرى بها لهباً في الحشر يشتعل

فأنت لكي يجعل حياتك مملوءة بالعمل، تحتاج إلى تقسيم وقتك على أعمال تقوم بها، وإنجازات تتحققها - فمثلاً - لتعيين لنفسك وقتاً للقراءة، وآخر تمضيه في زيارة اجتماعية، وآخر لمتابعة الأخبار المحلية والعالمية.. وأعمال أخرى تقدم من خلالها خطوات في الفهم والوعي والإدراك.

وهذا هو شهر رمضان المبارك، لا يجعل أيامه تقطعك، بل اقطعها بالبرامج الرسالية، حدد لنفسك كتاباً إسلامياً تقرؤه وعملاً إسلامياً هاماً تقوم به، ورسالة تؤديها.. وهكذا.

ثانياً : لنلتصلق بالقرآن الكريم، ولنغير علاقتنا به.. لنتقدم خطوة إليه لكي يتقدم إلينا خطوات.

ولذا لابد من الالتزام بتلاوة القرآن الكريم كل يوم، وختمه ولو مرة واحدة في هذا الشهر الكريم، فإنه إذا كان لكل شيء ربيع، فإن ربيع القرآن الكريم هو هذا الشهر الكريم. يقول الإمام الباقر عليه السلام: (لكل شيء ربيع وربيع القرآن هو شهر رمضان) .

وإذا كان هذا الشهر ربيع القرآن ، فلابد أن ينمو القرآن في داخلنا بعدد لحظات الشهر، وعدد آية القرآن، فإن ثواب قراءة آية واحدة فيه تعادل ثواب قراءة القرآن في سواه، وهذا قد يعني أن بكل آية تتلى في هذا الشهر الفضيل ينمو بداخلنا مقدار ما يعادل نموه كله بداخلنا في سواه من الشهور.

إذاً .. لنعطي القرآن أهمية خاصة في هذا الشهر الفضيل، ولا نقتصر فيه على التلاوة فحسب، بل لابد من التدبر فيه، وقراءة تفسيره وحفظ بعض سوره.

ثالثاً: تغيير العادات السيئة، خاصة الخلاقلية منها. جاء في الحديث الشريف: (إذا صمت ، فليتم سمعك وبصرك ، ويدك).

فلا يكفي أن يصوم الإنسان عن الطعام والشراب فقط، بل لابد أن يصوم كله، لسانه وعيناه، وأذناته ويداه، ورجلاه، وكل شعرة في جسده، بل وحتى دقات قلبه، وختجات ضميره، ورجرحة نبضه.

وهذا يعني أن يلبس لباس الصالحين، وأن يتجلب بجلباب الصائمين، وأن لا يسمح لرجليه أن تسوقانه إلى أماكن غير جيدة، ولا للسانه بتلطف الكلمات البذيئة ولا لأذنيه بالاستماع إلى اللغو والغيبة، ولا لعينيه أن تنظر إلى ما حرم الله عليها. يقول الإمام علي عليه السلام: (صوم القلب عن الفكر في الآثام أفضل من صيام البطن عن الطعام).

ويقول عليه السلام: (صوم القلب خير من صيام اللسان ، وصيام اللسان خير من صيام البطن).

ولذا لابد أن نغير عاداتنا وتقاليدنا خاصة فيما يرتبط بالأخلاق في هذا الشهر، فإذا كان الواحد منا مثلاً يستعمل بعض الكلمات البذيئة، أو كان قد تعود على الكذب والنميمة ، فليحاول أن يغير ذلك في نفسه ، وإذا كان قد تعود على قطع الرحم فليصل رحمه في هذا الشهر الكريم، وإذا كان قد تعود على النمية والتفرقة بين الناس فليغير هذه العادة.

ربعاً : الحضور في مجالس تلاوة القرآن الكريم والنشاطات الدينية:

من الجيد أن يتلو الإنسان القرآن في بيته، ولكن الأفضل أن يتلوه مع الآخرين، لأن هذا عمل جماعي (ويمد مع الجماعة) كما يقول الحديث الشريف، بل ويفضل أن تكون قراءة القرآن في هذا الشهر جماعة في المسجد مثلاً.

وإذا كنت تؤدي عملاً خيراً واحداً أو تشارك في مشروع خيري كل يوم، فليكن لك عملان تؤديهما خلال أيام شهر رمضان، وهكذا